## وديع سعادة

المُتعَبُون يجلسون فى الساحة
يُنصتون إلى عبور النسمات ، التى كانت فى الأرجح
بائعين متجولين
أو متسكعين ، فقدوا أقدامهم
للمتعَبين ساحة
بلاطاتها ، مع الأيام ، اكتسبت صفات إنسانية
حتى أنها إذا غاب واحدٌ منهم
تبكى .
المُتعَبُون فى الساحة ، ووجوهم تَرقُّ يومًا بعد يوم
وشَعرهُم يلين
فى هواء الليل والأضواء الخفيفة
وحين ينظرون إلى بعضهم تَرقُّ عيونُهم أيضًا
إلى درجةٍ أنهم يظنون أنفسهم زُجاجًا
ويَنْكسِرون

( المتعبون )

## العدميُّ يسكن وردة !!

**منذ** أن ترك بيروت ١٩٨٨ للمرة الأولى أو للمرة الأخيرة هاربًا من جحيم الحرب الأهلية . . لم تكن ( **أستراليا** ) مجرد منفى أو مكانًا آخر للإقامة . .

لم يكن يبحث عن وطن وجده ديفيد معلوف فى ( **اللغة** ) ووجده آخرون فى ( **حقيبة سفر** ) . .

كان وديع سعادة يبحث عن ( **غياب** ) . . عن فك كل ارتباط حوله . . عن هدم المكان والإقامة والذاكرة . . يبحث عن فرحة النسيان . .

درب نفسه طويلاً وبحسم على إدارة الأكتاف وإحداث المسافة العميقة بينه وبين الأشياء ، بينه وبين الآخرين . . درب نفسه على قتل الذاكرة والتذكر والرغبة والوجود والأمكنة ، وعلى قتل نفسه تمامًا .

**كيف تنسى نفسك**
**أمامك حل وحيد**
**أن تقتلها ...**
**وقتلتها !**

فى زيارته الأولى للقاهرة هذا الأسبوع بمبادرة شخصية من د. كلاريسا بيرت ، أستاذ الأدب العربى بالجامعة الأمريكية ، حيث أقامت له أمسية شعرية صاحبتها بعض الترجمات . .

بدا وديع سعادة(*) بعيدًا تمامًا وحريصًا أيضًا على حماية ابتعاده .

---

(*) جريدة أخبار الأدب - القاهرة - ١٠/ ١١/ ٢٠٠٢م .

رجل هادئ . .

قليل الكلام ( **حيث الكلام عزله** ) . .

قليل التواصل ( **حيث الآخرون شيء بعيد وغريب ، لا نراه ولا نعرفه، وتقريبًا ليس موجودًا** ) .

لا يمنح نفسه لأحد بسهولة ولا يريد . . ليس ( عاطفيًا ) تمامًا ، ليس (حميميًا) تمامًا . . لم تشى القاهرة له - كمكان أول - بأية دهشة ، لم تحضر معها أسئلتها الثقافية والإبداعية ، لم يسأل عن أحد فيها . . شعرائها ، كتابها ، رساميها ( **مرة وحيدة سأل عن نسبة الضريبة الواقعة على المواطن** ) . .

أيضًا لم يذكر بيروت . . لم تعد مكانه ، فلم يعد لأحد مكان حقيقي . . ( **على الكتّاب أن يحركوا التراب ويوسعوا النعوش** ) . .

لم يهتم وديع سعادة كثيرًا . . بدقة أكثر . . لم يبد اهتمامًا ظاهرًا بشيء حين زرت معه الأهرامات و« أبو الهول » . . لم يندهش . . لم يغالبه السؤال أو حتى يغالبه الفضول . . التاريخ بأكمله لا يعنيه . .

بدا الأمر مفارقًا ومثيرًا للدهشة . . كيف لهذا العدمي المحتفي بالموت ( **حيث الحياة تمرين على جمال الرحيل** ) أن يمضي غير عابئ بذلك القبر العظيم . . فقط حين هبت بعض الأتربة أمام الهرم الأكبر تذكر ديوانه الأخير ( **الغبار** ) . . !

قلت له : أنت وديع تمامًا ، لعلك تشبه قصيدتك ؟

حدثني عن التطابق الضروري بينه وبين القصيدة ، موضحًا أنه لا يستطيع أن يكتب مدافعًا عن ( الديموقراطية ) إذا كان في الواقع (ديكتاتورًا) . . وأضاف احتقاره للسياسة والسياسيين .

وحين سألته عن عمله كمدير تحرير جريدة النهار الأسترالية ( تصدر باللغة العربية ) أدهشتني الإجابة . . فهو يقوم بكتابة المقال الافتتاحي وهو على الأغلب مقال سياسى !

قلت : ما هذا التناقض ؟

حدثنى عن احتياجات أطفاله وظروف المعيشة واضطراره ، ولكنه لم ينس أن ينفى لى عدم حفاوته بتلك المقالات وعدم احتفاظه بها وعدم أهميتها .

ليس حميمياً تماماً وديع سعادة ، ولكنه أمام فيض الاهتمام بحضوره الأول إلى القاهرة ، اكتفى بتعليق عابر ( **القاهرة هى العاصمة العربية الوحيدة المهمومة بنشاط ثقافى جاد** ) .

أشبه بحضور الغائب . . هكذا بدت زيارته الأولى للقاهرة ، مثيرة لقائمة المنتظرين قدومه ، تحديداً لجيل شعراء التسعينيات أو شعراء (القصيدة الجديدة) كما يحب هو أن يسمى ( قصيدة النثر ) . .

وقفوا يتظرون قدومه . . فمنذ أن قرأوا ديوانه الخامس ( **بسبب غيمة على الأرجح** ) ١٩٩٢ ، ومنذ أن طبعت هيئة قصور الثقافة مختاراته الشعرية فى سلسلة آفاق **الكتابة** عام ١٩٩٨ . . ووديع سعادة يحتل تاريخ الوردة ، مجسداً النموذج الأكثر حضوراً لدى شعراء قصيدة النثر . .

لم يعد محمد الماغوط صاحب الظل الأكبر على قصيدتهم . . ربما كانت ( الأيديولوجيا ) سبباً . . هذا الانخراط السياسى الساطع فى قصائده وكتاباته ومواقفه ، تلك القضايا التى ينفرون منها جميعاً هى ما دفعتهم بعيداً جداً . . أيضاً كان أنسى الحاج دائماً بعيداً جداً وحيداً

فى قصيدته وعزلته الأكثر أحكامًا . . سركون بولس أيضًا باعدته العقائد الكبرى وصـيحته العميقة .

غاب شعراء قصيدة النثر الكبار . . أو مارس شعراء قصيدة النثر فى مصر تغييبهم . .

فقط تشبثوا بوديع سعادة . .

حيث لا عقائد ولا أيديولوچيات .

حيث لا ثقافة رفيعة أو كنوز مختبئة . .

حيث لا عنف ولا تعال . . جماليات مكشوفة وسافرة . . لغة تؤسس بساطتها المتناهية واختلافها عبر تفاصيل قريبة ومتاحة . .

نص يناقض المجاز ، لا يقبل التأويل . . نص واضح المعنى مشحون بكل الدلالات الممكنة أو ( بفائض الدلالة ) كما وصفه نصر أبو زيد (**حين التقى بوديع سعادة منذ أسابيع مضت فى ألمانيا**) .

قصيدة وديع سعادة طاقة مدهشة على توليد الصور المبتكرة ، غير المسبوقة بكثافة دلالية بل بدلالات مكتملة ، . ومستوفاة ، لا تختزن شيئًا ولا تخفى شيئًا وراءها . . ذلك فائض دلالاتها المحددة والمكتملة .

قصيدة واضحة المعنى ، تفضح سرها كاملاً ، وتطلق صيحتها جملة واحدة كى لا نعود من جديد . . إنها إحدى فنون الصورة وإحدى فنون العصر الاستهلاكى المعاصر .

قصائد وديع سعادة كاملة الدلالة . . تلك خصوصية وفرادة صورة وخبرته الجمالية العميقة وسليقته الموهوبة . . وهى أيضًا مأزق القصيدة أيضًا حين تتشابه الجملة الجمالية دون مسافة تذكر بين ديوان وآخر . .

دون فـارق لافت بين الدواوين الأولى ( **ليس للمسـاء إخوة** ) ( **مقعد راكب غادر الباص** ) والدواوين الأخيرة (**محاولة وصل ضفتين بصوت**) ، ( **نص الغياب** ) أو ( **الغبار** ) .

( **فائض الدلالة** ) يعادل أحيانًا ( **إبطال الدلالة** ) في الانتهاء بالتجربة الجمالية إلى أفق مغلق ، لا يمتلك مقومات الاستمرار .

هل كانت تلك الجماليات ذاتها وراء قرار وديع سعادة الفجائى بالتوقف عن كتابة الشعر ؟!

ذلك موقفه وتلك قناعاته - كما يؤكد - بعدما فقد سؤال الجدوى وطموح التغيير . . وإن كنت لا أصدق كثيراً تلك القرارات المبهمة . . ومثلما تظل الكتابة خارج مساحة القرار المتعمد والقصدى ، يظل التوقف عنها أيضًا خارج تلك المساحة المحسومة الصارمة .

لكن سعيد الكفراوى ، فى ندوة الجامعة الأمريكية ، أعاد سؤال الجدوى على مشروع وديع سعادة بأكمله ، مشيراً إلى انغلاق الدائرة وعجز الرؤى الإنسانية العامة عن تحقيق أية فاعلية أو تغيير !

سؤال لم يلتفت إليه وديع سعادة ، لكنا نواصل الاستطراد هل ( **الحق والخير والجمال** ) فى صورته المطلقة ، خارج المواضعات والتحديدات والأمكنة يمتلك قدرة التغيير ومسألة الواقع ؟

هل ذلك المطلق البعيد ينطوى على بذرة التوقف والعجز بالضرورة ؟

هل تلك العدمية المفرطة . . تلك العدمية الموت . . ذلك التفكيك المتواصل للعالم يمكن أن تطرح جدوى ؟

يرى أحمد طه أن وديع سعادة أشبه ببطل رواية ( **الجحيم** ) لهنري باربوس ، والذى رصده كولن ولسون كنموذج ( **للامنتمى** ) المعاصر ، ويرى عبد المنعم رمضان أن خصوصية وفتنة وديع سعادة فى تلك المسافة المحكمة بينه وبين ( **العدم** ) . . بينه وبين ( **موضوعه** ) .

نقرأ وديع سعادة فلا نعرفه ( شخصياً ) . . وحين نلتقى به . . أيضاً لا نعرفه ( شخصياً ) . . فهو لا يكتب حكاياته وأشخاصه ووقائعه . . لا يكتب عن الأماكن التى أقام فيها أو سكنها ، ولا عن المرأة التى أحبها والوجوه التى التقاها . . حتى الريف الذى يطل بين القصائد لا نستطيع أن نجزم إنه ريف لبنانى تماماً . . إنه ريف عام نجده فى أى مكان بالعالم وفى كل مكان . .

لا يكتب تاريخه الشخصى ، لا يريد أن يترك أثراً . . لا يريد أن يرتكب خطيئة أو يرتكب إقامة . . لا يريد مصادقتك ، لا يريدك أن تقترب كثيراً ، ولا يريدك أن تتعرف على ذاته ( **الخاصة** ) . . تلك التى قتلها يوماً . . ويحاول أن يقتلها دائماً . .

إنه فقط يمجد ( **العدم** ) . .

* * *